الجزء الثاني المجلد السادس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

شوال ١٤٠٥ هـ
حزيران ١٩٨٥ م

حذف الفعل في الإغراء والتحذير

الدكتور فاضل صالح السامرائي

كلية الاداب – جامعة بغداد

ذهب النحاة الى أنه إذا كان أسلوب التحذير (إيّا) ، ففعله واجب الحذف مطلقاً ، سواءٌ كُرِّرت ام لم تكرر . تقول : إياك والكذب ، ولا يصحّ أن تقول : إياك أحذر والكذب ، أو أحذرك والكذب . وكذلك إذا كان بغير (إيّا) إذا كان مكرراً ، أو معطوفا ، نحو : النارَ النارَ ، والكذبَ والخيانَةَ ، فإنّه لا يصح أن تقول : إحذَرِ النارَ النارَ واحذر الكذب والخيانة (١) . ، وأجاز بعضهم إظهار الفعل معه ، جاء في (شرح الرضيّ على الكافية) : « وأجاز قوم ظهور الفعل مع هذا القسم ، نحو : احذر الأسدَ الأسدَ ، وإيّاك إيّاك احذر ، نظراً الى أن تكرير المعمول للتأكيد لا يوجب حذف العامل ، كقوله تعالى : (إذا دُكّتِ الأرضُ دَكّاً دَكّاً) » (٢) .

واذا لم يكرر العامل ، جاز إظهار عامله اتّفاقاً (٣) .

---

(١) شرح التصريح دار احياء الكتب العربية ١٩٢/٢ ، شرح ابن عقيل دار احياء الكتب العربية ٨٧/٢ ، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل دار احياء الكتب العربية ٨٨/٢ ، سيبويه مصور عن طبعة بولاق ١٣٨/١ – ١٣٩

(٢) شرح الرضي الاستراباذي على الكافية لابن الحاجب ١٩٦/١ وانظر الاشموني دار احياء الكتب العربية ١٩١/٣ ، همع الهوامع طبع السعادة بمصر ١٦٩/١ .

(٣) شرح الرضي ١٩٦/١ وانظر سيبويه ١٣٩/١ ، شرح التصريح ١٩٥/٢ .

وفي هذه المسألة بحث ، فإنه عند جمهور النُّحاة أن حذف الفعل واجب في نحو قولك : إياك من المِراء ، وإيّاك من الكذب . وفي نحو : الكذب والخيانة . ولكن ألا يصح أن نقول : أحذرك من المِراء ، وأحذر الكذب والخيانة ؟ ألا يصح أن نقول : أحذرك من هذا الامر ، وأحذرك العقوق والظلم ؟

إن هذه تعبيرات صحيحة بلاشك . واذا حذفنا الفعل من هذه الجمل ، كانت من الجمل الواجبة حذف الفعل عند النحاة ، فمثلا قولنا : احذّرك من المِراء ، إذا حذفنا الفعل منه ، كان : إيّاك من المراء ؛ وأحذرك من هذا الأمر ، اذا حذفنا الفعل منه كان : إياك من هذا الامر ، واذا حذفنا الفعل من قولنا : احذر الكذب والخيانة ، قلنا : الكذب والخيانة . فاذا كانت هذه الجمل مع ذكر الفعل صحيحة ، فلماذا يقول النحاة : إن الحذف واجب ؟

إنه يصح أن تقول : احذرك من هذا الأمر ، و إياك من هذا الأمر . قال تعالى : (يَعِظُكمُ اللهُ أن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أبداً – النور – ١٧) . فذكر فعل التحذير (يعظ) . ولو حذفه ، لكان القول : « إياكم ان تعودوا لمثله أبدا » . وقال : (إنّي أَعِظُكَ أن تكون من الجاهلين – هود – ٤٦) ، فذكر فعل التحذير . ولو حذفه ، لقال : « إياك أن تكون من الجاهلين » .

وقال : (واتَّقُوا الله الّذي تسَاءَلُونَ به والأرحامَ – النساء –١) . ولو حذفه ، لقال : « الله والأرحام » . وقال : (ولا تُطِعِ الكافِرِينَ والمنافقين ، ودَعْ أذاهُمْ – الأحزاب ٤٨) . ولو حذف الفعل ، لقال : « الكافرين والمنافقين » . وقال : (قل أَطِيعُوا الله والرَّسُولَ – آل عمران ٣٢) . ولو حذف فعل الإغراء ، لكان القول : « الله والرسول » . وقال : (وأوفوا الكيل والمِيزان – الأنعام ١٥٢) . ولو حذف فعل الاغراء ، لقال : « الكيل والميزان » . فهذه كلها من أساليب التحذير والإغراء الواجبة حذف

الفعل عند النّحاة ، وقد ذكر الفعل معها ، فكيف نفسر قول النحاة بوجوب الحذف ، علماً بأن الذكر واردٌ في القرآن الكريم وفي غيره ؟

ولا يذهب ذاهب الى أن هناك فعلاً بعينه هو الذي يلزم تقديره ، بل كل ما يؤدي المعنى صح تقديره ، قال سيبويه : « هذا باب ما جرى منه على الأمر والتحذير : وذلك قولك اذا كنت تحذّر « إياك » ، كأنك قلت : ايّاك نَحّ ، وايّاك باعد ، وإياك اتّقِ ، وما اشبه ذا » (٤) . وجاء فيه : « فاذا قلت : اياك ان تفعل ، تريد : إيّاك أَعِظُ مخافةَ أن تفعلَ ، أو من اجل أن تفعل جاز » (٥) .

فقدر « أعِظ » الذي ذكره القرآن الكريم .

قال الحفيد : « والحق أن يقال : لا يقتصر على تقدير « باعِدْ » ، ولا على تقدير « احذَرْ » ، بل الواجب تقدير ما يؤدي الغرض إذِ المقدر ليس أمراً مُتَعبَّداً به لا يُعْدَلُ عنه » (٦) .

ونعود الى سؤالنا وهو : ما معنى قول النحاة إن الحذف واجب ، في قولك : إيّاك أن تكذب ، علماً بأنه يصح أن نذكر الفعل ، ونقول : أحذّرك أن تكذب ؟

والجواب : أن « إيّا » في هذا الباب كناية عن المنع والتحذير والتبعيد عن الشيء ، معناها : « بَعّدْ » ، أو « باعد » ، أو « احذَرْ » ، أو « احفظ نفسك » ، أو : « قِ نفسَكَ » ، ونحو ذلك من معاني التحذير ، والكاف للخطاب . وهي بمعنى فعل التحذير نائبة عنه ، وتسدّ مسدَّه . وقد ذكر

---

(٤) سيبويه ١٣٨/١

(٥) سيبويه ١٤٠/١

(٦) حاشية الصبان على شرح الأشموني دار احياء الكتب ١٨٩/٣ ، حاشية الخضري ٨٨/٢ وانظر شرح المفصل لابن يعيش دار الطباعة المنيرية ٢٥/٢ .

ذلك سيبويه ، قال : « وإيّاك بدلٌ من اللفظ بالفعل ، كما كانت المصادر كذلك ، نحو : « الحذر الحذر » (٧) . وقال ابن كيسان : « وقد تكون (إيّا) بمعنى التحذير » (٨) .

ولو قال قائل هي اسم فعل بمعنى « بعّدْ » ، أو احذَرْ » ونحو ذلك ، كما قالوا في « دُونَكَ » بمعنى « خُذّ » ، و « رويدك زيداً » بمعنى « أمهِلْه » ، و (عليك) بمعنى « الزَمْ » و « اليك » بمعنى « تنحَّ » ، لكان في قوله وجاهة .

وهي من حيث ذكر الفعل وعدمه ، نظيرة المصدر النائب عن فعل الأمر في نحو قولنا : « إقداماً يا سعيدُ » . فمعنى « إقداماً » هنا معنى فعل الأمر « أَقْدِمْ » ، والنحاة يقدرون فعلاً محذوفاً واجب الحذف في نحوِ هذا ، وهو هنا « أَقْدِمْ » علماً بأنه يصح أن يقال « أقدم إقداماً يا سعيد » . قال تعالى : (فاصبِرْ صَبْراً جميلاً – المعارج ٥) وقال : (واهْجُرْهُمْ هَجْراً جميلاً – المزمل ١٠) . وهو كما ترى نظير مسألتنا في التحذير .

يقول النحاة في التحذير : إياك من الكذب – الفعل واجب الحذف ، وتقديره : احذَرْ ، او احفَظْ ، علماً بأنه يصح أن نقول : احذرك من الكذب.

ويقولون في باب المفعول المطلق : إقداماً يا سعيدُ – الفعل واجب الحذف وتقديره أقدِمْ ، علماً بأنه يصح أن نقول : أقْدِمْ إقداماً يا سعيدُ .

فما تفسير هذا الأمر ؟

في مسألة المفعول المطلق إذا قلنا : إقداماً يا سعيد ، كان المصدر نائباً عن فعل الأمر ، ومعناه أقدِمْ يا سعيدُ ، ولكن اذا قلنا : أقدِم إقداماً يا سعيدُ ، تغير المعنى ، وكان المصدر مؤكداً ، وليس نائباً عن فعل الأمر .

---

(٧) سيبوية ١٣٩/١ ، وانظر لسان العرب ط . بولاق ٣٢٣/٢٠ (ايا) .
(٨) لسان العرب ٣٢٦/٢٠ (ايا)

وكذلك إذا قلت : صبراً جميلاً يا فلان ، فمعناه : اصبِرْ . ولكن اذا قلت : إصْبِرْ صَبْراً جميلاً ، تغير المعنى وأصبح مبيّناً للنوع فقط ، فانه يصح ان نقول : صبراً جميلاً . وفعله واجب الحذف عند النحاة ، ومعناه الأمر ، وهو نائب عن فعله . ويصح أن نقول : اصبِرْ صبراً جميلاً . لكن ليس بالمعنى الأول ، فهنا « صبراً » ليست نائبة عن فعل الأمر ، ولا بمعنى الأمر ، وإنما هي الآن مبينة فقط . فالنحاة يقدرون في : صبراً جميلا : اصبِرْ محذوفاً وجوباً ، لضرورة تمشية الصّناعة الإعرابية ؛ لان كل منصوب لابد له من ناصب عندهم . ولو ذكرته ، لصح . لكن ليس بالمعنى الأول كما أوضحت .

وكذلك الأمر في التحذير. فـ « إياك » في التحذير ، نائبة عن فعل التبعيد والمنع والتحذير . ويقدرون لها فعلا معناه « احذَرْ » ونحوه . ولكن لو أظهرته ، لتغير المعنى ، واصبح التحذير بالفعل المذكور لا بإيّاك . فلو قلت : إيّاك من الكذب ، كان التحذير بايّاك وحدَهُ . ولو قلت : احذّرك من الكذب ، لكان التحذير بالفعل : احذّر ، لا بالضمير . وكذلك لو قلت : إيّاك أحذر من الكذب ، كان التحذير بالفعل ، لا بإيّا ، وقدمت الضمير للاختصاص ، وعند ذلك لا يكون (إيّا) كناية عن التبعيد والمنع ، ولا نائباً عن فعل التحذير . واذا قلت : احذرك إيّاك أن تفعل ، كانت « إيّا » ليست تحذيراً ، وإنما هي بدل من ضمير الخطاب على رأي الجمهور ، أو توكيد له على رأي آخرين . فأنت لا تذكر الفعل إذا كانت « إيّا » تقوم مقام فعل التحذير . ولو ذكرت الفعل ، كانت ضمير نصب غير مكنيّ به عن التحذير .

والذي يدل على أن « ايّا » في التحذير ليست مثلها في غير التحذير أن بعض العرب قد تغير في « ايّاك » التي للتحذير وتتصرف فيها ، بخلاف التي لغير التحذير ، فتقول : « أيّاك » بفتح الهمزة و« هيّاك » بإبدال الهمزة

هاءً ، وذلك في التحذير فقط . جاء في (لسان العرب) :« ومنهم من يجعل التحذير وغير التحذير مكسوراً ، ومنهم من ينصب في التحذير ويكسر ما سوى ذلك للتفرقة ... قال الفراء : والعرب تقولُ : هيّاك وزيداً ، إذا نَهَوْك . قال : ولا يقولون هيّاك ضربت » (٩) .

إنها طريقة من طرائق التعبير في المنع والتبعيد . انك كما تقول في الأمر :

قُمْ بالواجب ، وقياماً بالواجب ،

اصبِرْ على الحق ، و صبراً على الحق ،

فتأمر مرة بالفعل ، ومرةً بالمصدر ، وكما تقول :

إلزَمْ نفسَك ، وعليك نفسَكَ .

خذ الكتاب ، ودونك الكتابَ .

فتأمر مرةً بالفعل ، ومرة باسمه ، كذلك تقول :

أحذرك أن تكذب ، وإيّاك أن تكذب .

أعِظُك أن تجهل ، وإيّاك أن تجهل .

فالاول تحذير بالفعل ، والثاني تحذير بالاسم أو بالكناية .

ثم إن التحذير بـ « إيّا » هو منع عام بصيغة التبعيد المطلق ، في حين أن التحذير بالفعل مقيد بمعنى ذلك الفعل . فقولك : احذَرْ ، مقيد بمعنى فعل التحذير ، وأعِظُك : مراد، منه الوعظ وأنهاك مراد به معنى النّهْي ، وهكذا .

وأما ما كان بغير « إيا » من المكرر والمعطوف ، فحذف فعله واجب عند الأكثرين . وأما ما لم يكن مكرراً فذكر فعله جائز — كما سبق أن ذكرنا ، قال سيبويه : « وإنما حذفوا الفعل في هذه الاشياء حين ثَنَّوْا (١٠) ، لكثرتها

(٩) لسان العرب ٣٢٥/٢٠ (هياك) .

(١٠) المعنى حين كرروا

في كلامهم ، واستغناءً بما يرون من الحال وبما جرى من الذكر . وصار المفعول الاول بدلاً من اللفظ بالفعل حين صار عندهم مثل إيّاك ... ولو قلت : نفسَك ، أو رأسَك ، أو الجدارَ ، كان إظهـــار الفعل جائزاً ، نحو قولك : اتّقِ رأسَك . أو احفَظْ نفسَكْ ، واتّقِ الجِدار ، فلما ثُنِّيت صار بمنزلة إيّاك » (١١) .

وذكر غيره: أن سبب الحذف هو أن الوقت يضيق عن ذكر غير المحذر المحذر منه ، قال الرضي : « وحكمة اختصاص وجوب الحذف بالمحذر منه المكرر كون تكريره دالاً على مقاربة المحذر منه للمحذر بحيث يضيق الوقت إلاّ عن ذكر المحذر منه على ابلغ ما يمكن ، وذلك بتكريره ، ولايتسع لذكر العامل مع هذا المكرر . واذا لم يكرر الاسم ، جاز إظهار العامل اتفاقا » (١٢) .

وقال : « وإنما وجب الحذف في الأول والثاني [أي ما كان بذكر والمحذر منه وما كان بذكر المحذر منه مكرراً] لأن القصد ... أن يفرغ المتكلم سريعاً من لفظ التحذير حتى يأخذ المخاطب حِذْرَه من ذلك المحذور ، وذلك لأنه لا يستعمل هذه الألفاظ الا اذا شارف المكروه أن يرهق » (١٣) .

وجاء في (مُلاّ جامي) في التحذير : « وإنما وجب حذف الفعل فيه لضيق الوقت عن ذكره » (١٤) وفي حاشية ملا جامي : « في كلاقسمي (١٥) التحذير ضيق وقت ، وهو أضيق من القسم الثاني منه ، ، ولهذا لا يذكر الا المحذر منه » (١٦) .

---

(١١) سيبويه ١٣٨/١ – ١٣٩
(١٢) الرضي ١٩٦/١
(١٣) الرضي ١٩٧/١
(١٤) ملاجامي ١٢٨
(١٥) القسم الأول ماذكر فيه المحذر نحو الأسد الأسد والقسم الثاني ماذكر فيه المحذر والمحذر منه ، نحو : إياك والاسد ، ويدك والنار .
(١٦) حاشية ملاجامي ١٢٨ .

وجاء في (الاتقان) للسيوطي : أن « من دواعي الحذف التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحـــذوف ، وأن الاشتغال بذكره يفضي الى تفويت المهم ، وهذه هي فائدة باب التحذير والاغراء » (١٧) .

والأمر عندي فيه تفصيل ، وهو : أنه ليس كل مكرر واجب الحذف ، ولا كل مفرد جائز الحذف ، وإنما الأمر يعود الى القصد والمعنى والمقام . فاذا كان ذكر اللفظ من المحذر او المحذر منه نائباً عن فعل التحذير مفهوماً منه التحذير بما يرى من الحال ، وكان المقام يضيق عن ذكر الفعل ، حذف فعله ولا يذكر ، وكان المذكور يقوم مقام فعل التحذير كما في « إيّا » سواء أكان مكرراً أم غير مكرر ، والاّ جاز ذكره .

وإيضاح ذلك : انك تقول لصاحبك : احذر زيداً ، ثم ترى أنه لم يسمع كلمة : زيد ، أو ذهب ذهنه الى خالد ، فتؤكد زيداً . وهذه من فوائد التوكيد اللفظي ، فتقول : احذر زيداً زيداً . فاذا كان زيد قريباً منه وهو له عدو ينوي قتله ، وكان الوقت يضيق عن ذكر غير المحذر منه ، قلت : زيداً أو زيداً زيداً ، اي : احذَرْهُ فهو قريب . فكلمة زيد الأولى ، أعني في : احذر زيداً ، ليست نائبة عن فعل التحذير ، بخلاف الثانية فانها نائبة عنه ومفهمة معناه .

قال تعالى : واتقوا الله الّذي تَسَاءلون به والأَرْحامَ — النساء — ١) فذكر فعل التحذير ؛ لأن لفظ الجلالة لم يَقُمْ مقام التحذير ، ولأن هناك سَعَةً من الوقت . ولو حذف ، لقال (الله والارحام) وقال : (ولا تطع الكافرين والمنافقين — الاحزاب ٤٨) وعلى مقتضى قول النحاة إن هذه واجبة الحذف ؛ لأنها معطوفة . والحق ما ذكرت ، وهو أنه اذا كان المذكور مفيداً

(١٧) الاتقـــان في علوم القرآن ٥٧/٢ ط ٣ ، ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م . معترك الأقران في اعجاز القرآن للسيوطي ، تحقيق البجاوي ٣٠٥/١ .

للتحذير من مجرد ذكره ، وأنه نائب عن فعل التحذير ، وكان الزمان يتقاصر عن ذكر الفعل . حذفت وجوباً ، نحو : الحية والعقرب . وإن لم يكن كذلك ، ذكرت ، فتقول : احذَرِ الحية والعقرب . وهذا كما يكون في المكرر والمعطوف . يكون في المفرد .

ومثله الإغراء . قال تعالى : (أطيعُوا اللهَ والرَّسُول ــ آل عمران ٣٢) فذكر فعل الإغراء مع العطف ، لأن الاسم المذكور لم يقم مقام فعل الإغراء . وقال : (وأوفوا الكيل والميزان ــ الأنعام ١٥٢) فذكر الفعل لما ذكرت .

وخلاصة الأمر في هذا الباب : أن لك أن تقول : إياك أن تفعل ، وأحذّرك ان تفعل ، وإيّاك أحذّر أن تفعل ، واحذرك إيّاك أن تفعل ، فكل ذلك جائز . ولكل قصدٌ ومعنى . فاذا ذكرت « اياك » وحدَهُ ، كان مفيداً للتحذير بنفسه . واذا ذكرت أيَّ فعل معه ، كان التحذير بذلك الفعل لا بإيّا .

ولك ان تقول : الكذب . والكذِبَ الكذِبَ ، والكذِبَ والخيانَةَ ، ورأسَك والحائطَ . ولك أن تقول : احذَرِ الكذبَ ، واحذرِ الكذبَ الكذبَ ، واحذر الكذب والخيانة ، وامنع رأسَك والحائطَ ، فيكون التحذير في الجمل الأُولى بما ذكر من المحذر والمحذر منه ، وفي الثانية يكون التحذير بالفعل . واذا ذكرت الفعل معها ، لم تكن هذه نائبة عن فعل التحذير ولا مفيدة له له ، بل يكون التحذير بما ذكرت من الفعل .

ففي كل المسائل يجوز ذكر الفعل وعدمه . ولكن إذا أردت التحذير بالاسم نيابةً عن الفعل ، حذفت الفعل ولم تذكره . واذا اردت التحذير بالفعل ذكرت الفعل وخرجت الأسماء عن كونها للتحذير .